

لأنها كانت في سنتياغو . وما أبعدا وهي على مسافة أربعين كيلومتراً عني فقط! وما كان أشدّ معاناة المسكينة ماتيلده من فراقنا! كنت أركب قطار (ذاويست) كلّ أحد لألقاها ؛ وأعود صباح الاثنين سعيداً ومغموماً في آن واحد جالِباً من سنتياغو منديلاً صغيراً وقد عبقت رائحتها به ، وأزهار بنفسج كانت تضعها على صدرها كفاتشات على زهر ؛ أو خصيلة من شعرها الكستنائي ، أو أي شيء آخر يكون صالحاً ليمدّ حنناً بالغذاء مدى سبعة أيام من الغياب الجبري .

ذلك الحب كان حباً حقيقياً ، يا دون كاميلو خوسيه! فكيف تريد أن تحملني على الاعتقاد بأن شبّان اليوم يمكن لهم أن يحبوا بعضهم بعضاً الحب الجميل ذاته كما كان يفعل آباؤهم ؟ لا ، هذا محال من كلّ جانب . تلك كانت أزمان آخر ؛ نظرة أو ابتسامة ، ولا أقول قبلة ، كانت تغمر بالسعادة أشدّ المحبين تطلّعاً وإلحاحاً . واليوم ، ها أنت ذا ترى يا سيد! ما الحلم الذي يستطيع أن يحلمه هؤلاء الشبّان من كلا الجنسين الذين يقضون الصباح وهم يقفزون نصف عراة على رمل التناطى؟

زفاننا كان مدار حديث المنطقة كلّها . وقد أنفقت أمّي المسكينة ، وهي امرأة تقيّة ، كلّ مدّخراتها . وكان لا بدّ للحفلة من أن تكون المّع حفلة عقدت ذلك الوقت . ولا أبالغ إذا قارنتها بعرس ماريا بيرتا بنت المركيزين ن...! ما كان جلدي يسعني من البهجة ، فلبت بعد الزواج عشرين يوماً على الأقل ، دون أن أعني شيئاً من حولي ، وكأنّ دماغني امتصّ امتصاصاً ، وفارقتني الرغبة في العمل ووقعت فريسة مزيج رهيب ومضن من الغمّ والفرح . كنت أقضي الساعات وأنا أفكر في ماتيلده حتى ولو كانت أمامي وأستطيع لمسها بيدي . فكنت أوتر أن أتخليها مغلفة بالسرّ ونائية كأنها نورس أو سحابة بعيدة . وإذا ما سرت في التسارع مستقيم القامة ، كنت